Route Educational & Social Science Journal
Volume 6(2) ; January 2019

فلسفة الأخلاق والمفهوم القرآني لمكارمها

دراسة تربوية

Philosophy of ethics and Quranic concept High morals

Educational study

م.د/ تماضر مرشد سليم

دكتوراه في الفلسفة الإسلامية

وزارة التربية العراقية/الكرخ٢

الملخص

يُعد الفصل بين الأخلاق والدين أمراً تعسفياً غير مرضي عنه، فصلاح الأخلاق سمة من سمات العاقل بتميزه والعالم بعلمه الخادم للبشرية المبتعد عن كل علم وصناعة تدمر البشرية، ففيها اكتساب الفضيلة التي تُقوم النفوس البشرية، لذا بحث فلاسفة العالم حول مفهوم الأخلاق في إطارها النفسي والفقهي، فجمعوا بين الشريعة والفلسفة وتوافقهما مع الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية بما يحقق التوازن في المجتمع وتحقيق متطلبات الحياة.

الكلمات المفتاحية:فلسفة، الأخلاق، والمفهوم، القرآني، لمكارمها دراسة تربوية

مشكلة البحث وأسبابه:

أدت الصراعات السياسية والتطور العلمي والتكنلوجي في عالمنا اليوم إلى جعل الإنسان آلة صماء، أو ماكنة تعمل للإنتاج بلا مشاعر تسحق أمامها العاجزين عن العمل، كما أنها جعلت المجتمع يتناسى أن

الضابط للعلوم والصناعات هو الأخلاق التي أوصت بها جميع الأديان، إذ ليس من الأخلاق صناعة آلات الدمار.

هذا أهم أسباب كتابة البحث، أضف إليه انتشار الكآبة والهم التي أصبحت من أمراض العصر لتخلي المجتمع عن أخلاقياته، لذا تطلب لفت النظر إلى أهمية الأخلاق ودور الفلسفة الأخلاقية في معالجة آفات المجتمعات لاسيما بعد آثار الحروب والتي شُنت باسم الأديان مما أفقد المجتمعات عامة ثقتها بكل مفاهيم الأديان، ولا زال هدف الإسلام هو إيصال الانسان كفرد، وكأمة إلى السعادة التامة والشاملة، والحقيقية، بكل ما لهذه الكلمات من مدلول ومعنى.

وهذه السعادة لا تنتهي بانتهاء حياة الانسان في هذه الدنيا، وانما تتجاوزها، لتكون دائمة وخالدة وابدية، فليست الدنيا إلا طريق عبور لدار الخلود، فكان الإيمان بإمكانية تغير أخلاق الناس، إذ لولا قابليتها للتغيير لأصبحت كلّ برامج الأنبياء التربويّة والكتب السماويّة، ووضع القوانين والعقوبات الرّادعة، لا فائدة ولا معنى لها، لذا كان لزامًا على دعاة الإصلاح لزوم المنهج الأخلاقي لإعادة الناس إلى جادة الصواب.

Summary

The validity of ethics is one of the characteristics of the intellect with its distinction and the world, with its knowledge of the servant of humankind, which is estranged from every science and industry that destroys humanity. Achieves balance in society and achieve life requirements.

Search problem and reasons:

The political conflicts and the scientific and technological development in our world today have made man a silent machine, or a machine that works for production without feeling crushed in front of those who are unable to work, and made society forget that the officer of science and industry is the morality recommended by all religions, Destruction.

This is the main reason for writing the research and then the spread of depression and concern that has become a disease of the age to give up the community ethics. Therefore, it is necessary to draw attention to the

importance of morality and the role of moral philosophy in dealing with the pests of societies, especially after the effects of wars throughout the ages. The aim of Islam is still to deliver man as an individual and as a nation to full and complete happiness.

And this happiness does not end with the end of human life in this world, but beyond it, to be permanent and eternal and eternal, is not only the stage of preparation and preparation of it, where the human move from the stage to another, larger and wider embodied human humanity, to live reality and authenticity, vitality and realism and depth, The belief in the possibility of changing the morals of the people, if it could not change to become all the programs of educational prophets and books, and the development of laws and penalties deterrent, useless and meaningless.

المقدمة

أهمية البحث:

صلاح الأخلاق سمة من سمات العاقل بتميزه والعالم بعلمه الخادم للبشرية المبتعد عن كل علمٍ وصناعةٍ تدمر البشرية، ففيها اكتساب الفضيلة التي تُقوم النفوس البشرية.

لقد بحث فلاسفة العالم حول مفهوم الأخلاق في إطارها النفسي والتشريعي، فجمعوا بين الشريعة والفلسفة وتوافقهما مع الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية بما يحقق التوازن في المجتمع وتحقيق متطلبات الحياة.

مشكلة البحث وأسبابه:

أدت الصراعات السياسية والتطور العلمي والتكنلوجي في عالمنا اليوم إلى جعل الإنسان آلة صماء، أو ماكنة تعمل للإنتاج بلا مشاعر تسحق أمامها العاجزين عن العمل، كما أنها جعلت المجتمع يتناسى أن

الضابط للعلوم والصناعات هو الأخلاق التي أوصت بها جميع الأديان، إذ ليس من الأخلاق صناعة آلات الدمار.

هذا أهم أسباب كتابة البحث، أضف إليه انتشار الكآبة والهم التي أصبحت من أمراض العصر لتخلي المجتمع عن أخلاقياته الكريمة لذا تطلب لفت النظر إلى أهمية الأخلاق ودور الفلسفة الأخلاقية في معالجة آفات المجتمعات لاسيما بعد آثار الحروب والتي شُنت باسم الأديان مما أفقد المجتمعات عامة ثقتها بكل مفاهيم الأديان، ولا زال هدف الإسلام هو إيصال الانسان كفرد، وكأمة إلى السعادة التامة والشاملة، والحقيقية، بكل ما لهذه الكلمات من مدلول ومعنى، لذا تطلب الأمر من الإصلاحيين بذل الجهد لإعادة الناس إل المنهج الأخلاقي للأمة الإسلامية عامة والعربية خاصة.

إجراءات البحث: قسمت البحث كالآتي:

أولا : المقدمة.

ثانيا: المبحث الأول: تعريف الفلسفة ودورها في تقويم المجتمع ويقسم على مطلبين.

ثالثا: المبحث الثاني: تعريف الأخلاق وأنواعها وعلاقتها بالأديان ويقسم على مطلبين.

رابعا: المبحث الثالث: التوجيه القرآني وأثره في تقويم الأخلاق في المجتمع المسلم ويقسم على مطلبين.

خامسا: الخاتمة: وتحوي والنتائج والتوصيات.

المبحث الأول: تعريف الفلسفة ودورها في تقويم المجتمع ويقسم على مطلبين

المطلب الأول: تعريف الفلسفة

أولا : تعريف الفلسفة لغةً : هي كلمة أعجمية غير عربية تعني الحكمة أو محب الحكمة[1].

[1] . ابن منظور: لسان العرب، دار صادر ، بيروت، ط٣،١٤١٤هـ، ج ٩ / ٢٧٣.

واصطلاحًا : تعددت تعريفاتها: منشأ هذه الكلمة الفلسفة كلمة معرَّبة عن اليونانية، فهي لفظ يوناني نشأ أول ما نشأ في بلاد اليونان، أصلها الوضعي، وسبب تسميتها بذلك: لفظ "الفلسفة" مركب من كلمتين يونانيتين هما:

١ــ فيلو، أو فيلا ومعناهما: المحبة، أو الإيثار.

٢ــ سوفيس، أو سوفيا ومعناهما: الحكمة فهذا هو أصل الكلمة وسبب تسميتها بذلك[٢].

وعرفها فلاسفة الإسلام بقولهم: هي البحث عن الحقيقة وحب المعرفة، وعرفها الكندي بقوله: هي علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان، وعرفها الفارابي بقوله: إنها العلم بالموجودات بما هي موجودة، وهي العلم الذي يعطي الموجودات معقولية ببراهين عقلية، وعرفها ابن سينا بقوله: الحكمة: استكمال النفس الإنسانية بتصور الأمور والتصديق بالحقائق النظرية والعلمية على قدر الطاقة الإنسانية[٣].

وعرفتها الجامعات الألمانية على عهد كانط[٤] بأنها: القدرة على التفكير، وعلى البحث في طبيعة الأشياء دون تغرضات أو مذهبية[٥]، وبالتعريف الشامل لمفهوم الفلسفة فهي التأمل التجريدي للظواهر البشرية ومحاولة تفسيرها، أي النظر وتجريد الظواهر من ملابساتها وتحويلها إلى مفاهيم، بحيث يمكن استخدامها في سياقات أخرى[٦].

ويرى ديكارت أن الفلسفة هي دراسة الحكمة، والحكمة علم واحد كلي، هي تفسير جامع للكون أو هي نظام شامل للمعرفة البشرية. وليست الفلسفة مجرد مجموعة معارف جزئية خاصة، وإنما هي علم المبادئ

---

[٢] . ينظر المدرسة الفلسفية في الإسلام بين المشائية والإشراقيه. أ. د محمد إبراهيم الفيومي ضمن أبحاث ندوة نحو فلسفة إسلامية معاصرة ص٧٥، والموسوعة الميسرة في الأديان أو الأحزاب والمذاهب المعاصرة ٢/ ١١٠٨. ١١٠٩.

[٣] . ينظر المصادر السابقة نفسها .

[٤] . كانط: فيلسوف ألماني ولد ومات في بروسيا الشرقية ت ١٨٠٤م ،أثرت فيه والدته اذ كانت من أتباع الحركة التقوية أوقف نفسه على دراسة الفلسفة والطبيعيات ، ينظر جورج طرابيشي:معجم الفلاسفة ،دار الطليعة بيروت ، ط٣ ، ٢٠٠٦م ، ص ٨١٥.

[٥] . وِل ديورَانت = ويليام جيمس ديورَانت: قصة الحضارة،ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين ، دار الجيل، بيروت – لبنان، ١٩٨٨م، ج٤١ / ١٦٢.

[٦] .جاسم سلطان: أداة فلسفة التاريخ، سلسلة أدوات القادة ٣، مؤسسة أم القرى.

العامة، يعني: أنها علم ....للأصول التي هي أسمى ما في العلوم وإذن، فالفلسفة عند ديكارت يدخل فيها علم الله وعلم الطبيعة وعلم الإنسان، لكن دعامة الفلسفة عنده إنما هي في الفكر المدرك لذاته، والذي هو في ذاته مدرك الموجود الكامل أي: الله منبع كل وجود، والضامن لكل حقيقة[٧].

المطلب الثاني: دور الفلسفة في المجتمع

يعد الفيلسوف من رواد المجتمعات المتحضرة لما يحمله من فكر يساعده في اقناع الناس بأهمية الإصلاح والتطور، ومن هنا كان للفلسفة أهميتها التي تكلم عنها الكثير من الباحثين ودورها الريادي في الدعوة لإعمال العقل في فهم ماهية وجود الإنسان وضرورة الإيمان بوجود الله إيمانا لا ينطلق من الموروث بل من التفكر الفردي في ذلك الوجود وغايته.

تعريف الفلسفة دار حول محبة الحكمة وليس الحكمة بعينها، والمفهوم العام للفلسفة بينه الاستاذ الزيات بأن تعريف الفلسفة قد يوهم القاريء أنها مجرد علم من العلوم، ابتدأه أو ابتدعه ذلك النفر من الحكماء، وتعاون على إقامته وتطوره أجيال الفلاسفة؛ في حين أن الحقيقة التي تخفى على الكثيرين من طلاب الفلسفة المبتدئين، أن الفلسفة أسلوب من أساليب التفكير البشري، وناحية من نواحي النشاط الفكري، فالإنسان المنطوي على طلب المعرفة، المطبوع على تفسير الظواهر، المتلهف على تلمس العلل والأسباب والغايات كما ينهج النهج الخرافي في تفكيره، قادر إذا ما بلغ طوراً من التقدم العقلي أرقى، وإذا ما تهيأت له ظروف مادية خاصة، على أن ينهج نهجاً فلسفياً علميًا[٨].

إن إصلاح الفرد لنفسه يجعله قائدًا في المجتمع لتنيتمه والارتقاء به، وقد كان لنا في التاريخ القديم والمعاصر أمثلة على فلاسفة أفراد أصلحوا مجتمعات كسقراط في هدمه لأفكار السوفسطائيين والإمام الغزالي

[٧] .عثمان أمين: ديكارت مبادئ الفلسفة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ص ١٢.

[٨] . مجلة الرسالة باب اساليب التفكير ،أصدرها: أحمد حسن الزيات باشا (المتوفى: ١٣٨٨هـ) ٨٢٢ / ١٧.

ودوره في إحياء أصول الدين وإعادة الشباب إلى جادة الصواب، و جون ستيوارت الذي ساهم في الإصلاح الاقتصادي لانكلترا.

العلاقة بين الإنسان والطبيعة وبين الأفراد مع بعضهم من مهمات الفلسفة كونها تحلل الأحداث والمجريات لتصل إلى النتائج، لذلك هي جزء من حياة الإنسان لتفسير الغموض الذي يحيطه، فكانت الأديان السماوية أكثر قبولاً في مجتمعات قريبة إلى التحضر الفكري وإن شابتها جاهلية عدم معرفة الإله إلا أنها حللت مسببات ما يجري حولها، وفي الوقت الذي تباعدت فيه المجتمعات وتكاثرت ظهر بين أبنائها من يبحث عن الإصلاح فكانت الطفولة محوراً هامًا من محاور الفلسفة التربوية والاجتماعية ودراسة علم النفس في تقلبات أطوار الإنسان ومراحل عمره لمعرفة ما يسيء له وما ...ينفعه ومعرفة القيم، وهي معيار لقياس الخطأ والصواب، وهي أيضاً معياراً للتفرقة بين الخير والشر لارتباطها بشخصية الإنسان وسلوكه وقيمه.

عندما قسمت الفلسفة على نظرية وعملية، اشتغلت النظرية بالمعرفة و الفلسفة النظرية هي وحدها التي تمتلك موضوعها في المجال المعرفي، كما ويرى كانت أنَّ المهمة الأساسية لهذه الفلسفة ووظيفتها الرئيسية تتلخص في وضع حدود للمعرفة بغية الوقاية من الأوهام، وذلك من خلال نقد القدرات المعرفية، كما أنه يكتب في هذا الخصوص في "نقد العقل الخالص" ما يلي: "إن الفائدة الكبرى، بل والوحيدة لأي من فلسفات العقل الخالص هي سلبية فقط: إن فلسفة العقل الخالص لا تشكل اداةً للتوسع، بل هي مادة لتحديد الحدود، وبدلاً من إستكشاف الحقيقة، فإنها تؤدي خدمة متواضعة، الآ وهي الوقاية من الأوهام"[٩]. ومن الجهة الأخرى، يتمركز موضوع الفلسفة العملية في المجال الأخلاقي، ولذا فإن المهمة الأساسية لهذه الفلسفة، كما يحددها كانت، تتلخص في بلورة اوصياغة القانون الأخلاقي الأعلى.

وهذا ما عليه محور البحث: الفلسفة الأخلاقية، لكل مدرسة فلسفية في الأقل، تصوراتهم الخاصة عن الفلسفة وموضوعها، ومن هنا أخلص إلى إستنتاجين: الأول يتلخص في أنَّ فهم موضوع ووظيفة الفلسفة يتميز بطابع تاريخي، حيث نجده يتغير في مجرى تطور الفكر الفلسفي بالإرتباط مع تغير الظروف

[٩] . كانت ع. نقد العقل الخالص: كانت ع. المؤلفات في ستة مجلدات. المجلد الثالث. موسكو، ١٩٦٤، ص. ٦٥٥.

الإجتماعية لوجود الناس، اي مع تغير انظمة علاقاتهم الإجتماعية، إنَّ هذا الأمر يجد تفسيره في أنَّ موضوع ومضمون الفلسفة لا يتناسبا شكلياً مع الظروف والعلاقات المذكورة وحسب، بل ويقوما بعكسهما وتجسيدهما بصورة مكثفة بهذا القدر او ذاك، وفي ضوء هذه الحقيقة يصبح من الواضح والمفهوم لماذا ذهب هيجل إلى القول بأن الفلسفة هي "الزمن المدرك في الفكرة"[١٠]، ولماذا ماركس قد اكد على "ان كل فلسفة أصيلة ما هي إلاَّ الجوهر الروحي لزمانها"[١١]. وفي السياق نفسه نجد إن فرنسيس بيكون كان قد قال قبلهما ب "ان الحقيقة بنتُ زمانها"[١٢]. اما الإستنتاج الثاني، فمفاده هو إن الفلسفة، وبخلاف العلم الذي هو ذو طبيعة أحادية، تتميز بالتعددية لأن مشكلاتها غير قابلة للحل بطريقة واحدة وبشكل نهائي. فكل يصوغ هذه المشكلات ويحلها وفق ما تمليه عليه المنطلقات الأساسية والمضمون العام للنظام الفلسفي الذي ينظوي تحت لوائه أو يقوم هو شخصياً ببنائه، إن التعددية كخاصية مميزة للفلسفة هي التي تتيح إمكانية إضفاء طابع قومي او وطني عليها[١٣].

فبخلاف العلم الذي بحكم أحاديته لا يمكن أن يكتسب دلالة قومية أو أن يتمتع بطابعٍ وطنيٍ نجد أن الفلسفة بحكم تعدديتها تستطيع أن تمتلك صفة قومية أو وطنية. وبالفعل، إننا في الوقت الذي لا يمكن أن نميز فيه فيزياء إنجليزية او كيمياء عربية، نستطيع أن نتحدث فيه عن فلسفة إنجليزية او فلسفة عربية، وها يعطي لكل أبناء مجتمع خصوصيتهم في الحديث والكتابة عن آراءهم ونظمهم الأخلاقية.

[١٠] . هيجل ج.و.ف. فلسفة الحق، ص.٥٥.

[١١] . ماركس ك. وإنجلز ف. المؤلفات. الطبعة الثانية. المجلد ١، ص ١٠٥.

[١٢] . بيكون ف. المؤلفات، المجلد ٢ . موسكو، ١٩٧٨، ص. ٤٦.

[١٣] .نمير العاني: مفهومي الفيلسوف والفلسفة، مقال منشور في صحيفة المثقف ،ع٤٢٦٧، ٢٠١٨/٥/١٢.

المبحث الثاني :

تعريف الأخلاق وأنواعها وارتباطها بالدين ويقسم على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف الأخلاق وأنواعها

عمدت كل الأديان والفلسفات القديمة والحديثة إلى المنهج الأخلاقي كونه الأصل في انضباط المجتمع لذا كان لزامًا على كل باحث في هذا العلم أن يُعرِّف بالأخلاق وماهيتها.

أولاً: الأخلاق لغة: تعريف الأخلاق في اللغة جمع خُلُق، والخُلُق: هو السجية والطبع، مأخوذ من مادة: (خ ل ق) وقد جاء في معناها: الخَلْق : التقدير، والخَلِيقَة: الطبيعة، والخِلْقة بالكسر: الفِطرة، والخُلْق والخُلُق: السجيّة، والخُلُق هو الدين والطبع والسجية والمروءة والدين، وحقيقته: أن صورة الإنسان الباطنة –وهي نفسه– وأوصافها ومعانيها المختصة بها، بمنزلة الخُلُق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها[١٤].

وحقيقة الخُلُق في اللغة: هو ما يأخذ به الإنسان نفسه من الأدب، يسمى خُلُقاً ، لأنه يصير كالخِلْقة فيه[١٥].

ثانياً: تعريف الأخلاق اصطلاحاً :

ذكر الماوردي في تعريف الأخلاق: الْأَخْلَاق غرائز كامنة تظهر بِالِاخْتِيَارِ وتُقهر بالاضطرار، وللنفس أَخْلَاق تحدث عَنْهَا بالطبع وَلها أَفعَال تصدر عَنْهَا بالإرادة فهما ضَرْبَان لَا تنفك النَّفس مِنْهُمَا: أَخْلَاق الذَّات وأفعال الْإِرَادَة[١٦].

وقد فصل القول في معناه الغزالي فقال: فالخُلُق عبارة عن هيئته في النفس راسخة ، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية ، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً ، سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً ، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة ، سميت الهيئة التي

---

[١٤] .أبو نصر الفارابي: الصحاح تاج اللغة،تحقيق: أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين . بيروت، ط٤، ١٩٨٧م، ج٤،ص ١٤٧١، وكذلك، ابن منظور: لسان العرب، ج١٠،ص٨٧، وانظر الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة . بيروت، ط٨، ٢٠٠٥م، ص ٨٨١.

[١٥] .أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، دار الكتب . القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م، ج١٨،ص٢٢٧.

[١٦] .أبو حسن علي بن محمد الماوردي: تسهيل النظر وتعجيل الظفر، دار النهضة العربية بيروت، ص٥.

هي المصدر خلقاً سيئاً ، وإنما قلنا إنها هيئة راسخة ، لأن من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة ، لا يقال خلُقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ، وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية ، لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية، لا يقال خلقه السخاء والحلم[١٧]، وقيل :(الخلق: صفة مستقرة في النفس فطرية أو مكتسبة ، ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة)[١٨].

ثالثًا: أنواع الأخلاق ومصدرها: قال تعالى: ﴿وأَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عَنْ سَبِيلِهِ ذلِكُمُ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ﴾(الأنعام:١٥٣)، انطلاقًا من الآية الكريمة كان التوجه الإسلامي في الأخلاق نحو المصدر الإلهي القرآن الكريم، وبناءًا على ذلك جاء التعريف المميز للأخلاق الإسلامية: بأنها مجموعة الأقوال والأفعال التي يجب أن تقوم علي أصول وقواعد وفضائل مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالعقيدة والشريعة الإسلامية من خلال القرآن الكريم وبما بلغنا به رسولنا الكريم(صلى الله عليه وسلم).

ومما يستنبط من هذا التعريف أنَّ الأخلاق في الإسلام ليست جزءًا من الدين بل هي جوهره وروحه لما وصف الله تعالى رسولنا صلى الله عليه وسلم: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) سورة القلم آية:٤،وتجميل لكل ما يتعلق بالعقائد والعبادات والمعاملات بحيث يشمل الخلق كل جوانب السلوك الإنساني وهو أعظم ما أُعطي العبد من النعم،يقول الرافعي: لو أنني سُئلت عن أجمل فلسفة في الدين الإسلامي كلها في لفظين لقلت: إنها ثبات الأخلاق وتكمن أهمية الأخلاق أن القرآن قدم التزكية التي هي الأخلاق قبل العلم[١٩]: قال تعالى: (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) (سورة البقرة آية: ١٥١).

---

[١٧] .أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، دار المعرفة . بيروت، ج٣، ص٥٣، وكذلك، علي بن محمد الجرجاني: التعريفات، دار الكتب العلمية . بيروت، ط١٩٨٣،١م، ص١٠١.

[١٨] .عبد الرحمن الميداني : عبدالرحمن حسن حبنكة / "الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة" / دار النفائس – بيروت / ١٩٨٨م، ج١، ص٧.

[١٩] .مصطفى صادق الرافعي: وحي القلم، دار الكتب العلمية، ط٢٠٠٠،١م، ج٢،ص٦٢.

وبما أن الخلق حال للنفس داعيًا لها إلى أفعالها فهي تنقسم على قسمين: منها ما يكون طبيعيًا من أصل المزاج كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب ويهيج من أقل سبب، ومنها ما يكون مستفادًا بالعادة والتدرب وربما كان مبدؤه بالروية والفكر ثم يستمر عليه حتى يصير ملكةً وخلقًا.

ولهذا اختلف القدماء في الخلق فقال بعضهم: من كان له خلق طبيعي لم ينتقل عنه وقال آخرون ليس شيء من الأخلاق طبيعيًا للإنسان ولا نقول أنه غير طبيعي، وذلك أنا مطبوعون على قبول الخلق بل ننتقل بالتأديب والمواعظ إما سريعًا أو بطيئًا، وهذا الرأي الأخير هو الذي نختاره لأنا نشاهده عيانًا ولأن الرأى الأول يؤدي إلى إبطال قوة التمييز والعقل وإلى رفض السياسات كلها وترك الناس همجًا مهملين وإلى ترك الأحداث والصبيان على ما يتفق أن يكونوا عليه بغير سياسة ولا تعليم وهذا ظاهر الشناعة جدا[٢٠].

الأخلاق نوعان:

أ- خلق حسن: وهو الأدب والفضيلة وتنتج عنه أقوال وأفعال جميلة عقلاً وشرعًا.

ب- خلق سيئ: وهو سوء الأدب والرذيلة وتنتج عنه أقوال وأفعال قبيحة عقلاً وشرعًا.

وعلى ذلك التقسيم جعل الفلاسفة للأخلاق أصول وهي: الحكمة، العفَّة، الشجاعة، العدالة

(الأخلاق تعتمد على معرفة الحسن والقبيح من الأفعال، والفضيلة بصورة مطلقة ليست هي إلاّ العلم والحكمة؛ أمّا العلم في مورد الخوف والإقدام، يعني العلم والإطّلاع على الشّيء الذي يتوجب على الإنسان الخوف منه، وعدم الخوف ....من شيء ما يعتبر من "الشّجاعة"، وإذا كان في صدد المنى النفسية، فيدّعي بـ: "العفّة"، وإذا كان العلم بالقواعد الحاكمة على ملاقات الناس وروابطهم مع بعضهم البعض، فالمقصود منه هو "العدالة"، وإذا كان العلم في دائرة وظائف الإنسان مع خالقه هو "التدين والعبودية"، فهذه الفضائل الخمسة، يعني: الحكمة، والشجاعة، والعفّة، والعدالة، والعبودية، هي الأُصول الأُولى للأخلاق

[٢٠] . ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد(ت٤٢١هـ): تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تحقيق: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، ط١،ص٤١.

السُّقراطيّة)[٢١]، اعتمد الفلاسفة المسلمون هذه الأصول في كتابتهم عن الأخلاق وعبروا عنها بالفضائل وجعلوا الاعتدال أساسها فالشجاعة ان لم تكن معتدلة ستكون تهورا.

الحكمة أهم ما يميز نوع الخلق والسلوك فهي تُعد من أُصول الفضائل الأخلاقيّة، والإفراط والتّفريط فيها تُعتبر من الرّذائل الأخلاقيّة، والحال أنّ الحكمة ترجع إلى تشخيص الحقائق والوقائع، وتعود الأخلاق للعواطف والغرائز والملكات النفسيّة، ولا تعود لإدراكات العقل، وعليه لا يُقال إنّ الُمتفتح الذّهن هو حسن الأخلاق، فالأخلاق يمكن أن تكون وسيلةً وأداةً للعقل، ولا تُعتبر قوّة العقل والإدراك من الأخلاق، وبعبارة أُخرى: انّ العقل وقوّة الإدراك هي الموجّهة لعواطف وغرائز الإنسان، في حركة الحياة والسّلوك، وتعطيها شكلها الأَوفق، والأخلاق هي كيفيّةٌ تعرض على الغرائز والميول الإنسانيّة[٢٢].

المطلب الثاني: علم الأخلاق وارتباطه بالدين

أخذت دراسة الأخلاق مجالًا واسعًا في الفلسفات التي اعتنت بالمجتمع ونوازع النفس الإنسانية حتى عَدت الأخلاق علمًا مستقلًا، ولما كان من صفات العلم أن يكون العمل به نافعًا لذا صدق على علم الأخلاق، فهو بقواعده ومبادئه يهدي للتي هي أقوم وأسلم من السلوك والأفعال بحيث لا يسوغ الفصل بينهما، فالعلم والعمل لا يصلحان إلا على أساس الخلق الكريم، ومن عرف هذا الخلق لزمته الحجة، وأصبح عنه مسئولاً، ومن هنا قُسِم علم الأخلاق إلى نظري وعملي.

يسمى العلم النظري للأخلاق بفلسفة الأخلاق، أما العملي فلا يبحث عن الخير المطلق والفضيلة كفكرة ومبدأ، بل يبحث عن مصاديق الخير التي تقع تحت الحواس والفضائل الخارجية كالوفاء بالأمانة والإحسان، وعليه فإن العلم النظري للأخلاق مجرد معرفة، والعلم العملي سلوك[٢٣].

---

[٢١] .أشرف محمود أمين: فلسفة الأخلاق والسياسة، مكتبة الإسكندرية . مصر . ٢٠٠٦م، ص٨٠.

[٢٢] .آية االله مكارم الشيرازي: الأخلاق في القرآن،مدرسة الامام علي بن ابي طالب عليه السلام – قم،ط٢،ج١،ص٨٣ – ٨٧ ١.

[٢٣] فلسفة الأخلاق في الإسلام،الشيخ محمد جواد مغنية،دار التيار الجديد،بيروت لبنان،ط٥.١٤١٢هـ .١٩٩٢م،ص٥٣.٥٦

وقد انقسمت الفلسفة الخاصة بالإنسان إلى ما يتناول الجسم، وما يتناول النفس؛ علم العقل أو المنطق وعلم الإرادة أو الأخلاق؛ ولتعلق شرائع الدين بالإرادة والعقل فقد اقتضت الأخلاق والدين بأن يوجد في الإنسان نفس لاجسمية عاقلة حرة وعلى هذا الاعتبار كانت الخطيئة فعل صادر عن إدراك ناقص، وواجبنا أن نروض النفس على العمل بناءًا على إدراك متميز والعمل على اكتساب الإدراكات المتميزة أي: القواعد الكلية، فإننا بذلك نحقق كمال عقلنا الذي هو ماهيتنا ونحصل على سعادتنا الحقة التي هي الغبطة العقلية، والإدراك المتميز يبعث على العمل، وكلما تعمقناه وجلوناه زاد تعلقنا بالخير، في حين أن الجهل سبب انحرافنا عن الطريق القويم، وكلما اتسع مجال إدراكنا المتميز قوي شعورنا بعلاقتنا بإخواننا في الإنسانية وبالله ومن ثمة كلما ازددنا كمالاً اغتبطنا بخير الآخرين وكمالهم وأحببناهم، إذ إن المحبة هي الاغتباط بسعادة الغير وتجد المحبة موضوعها الاقصى في الله الموجود الفائق الكمال، فهو خيرنا وكمالنا، وباغتباطنا بكماله نكمل نفوسنا، وهذه ماهية الدين الطبيعي[٢٤].

ان كل فعل يصدر عن الانسان، سواء كان موافقاً لميوله ورغباته أو مخالفاً لها، يترك تأثيره الخاص في النفس و يجعلها أكثر استعداداً لتكراره في المرة القادمة و هذا أمر محسوس، إنَّ قناعات الإنسان بضروره أفعاله العادية، تبقى في النفس بمثابة معادلة من المقدمات الفكرية و بوجودها لم تعد حاجة إلى قطع المسير الطويل للمقدمات الذهنية وإن هذه الصور العلمية لا تُمحى من الذهن بسهولة ويكون الدافع الأصلي لاداء الأفعال الحسنة أو السيئة هو هذه القناعات والصور العلمية المتأتية من إيمانه بالله.

ان هذه العادات و الخصال التي رسخت في النفس، و التي هي منشأ لبروز أفعال و آثار تتناسب معها؛ يطلق عليها بـ«الاخلاق»، مثل: السخاوة، و الشجاعة، و العفة، و غيرها من الأخلاق الحسنة والحميدة؛ أما الذي يتعارض معها فهو خلق سيِّء و مذموم و يُسمي القسم الأول بالأخلاق الفاضلة، و يطلق علي الثاني بالأخلاق الرذيلة وعلى هذا الأساس نزلت الشرائع السماوية بالثواب أو العقاب على مايترتب من تلك الأفعال.

[٢٤] .يوسف بطرس: تاريخ الفلسفة، مكتبة الدراسات الفلسفية، ط٥، ص ١٤٠.

دور الاخلاق في سعادة الإنسان و شقائه:

تلعب الاخلاق الحسنة أو السيئة دوراً هاماً في سعادة الإنسان المؤمن بالله أوتعاسته الناتجة عن خطأ أبعده عن الله، فان الشخصية الروحية لكل فرد هي من نتاج أخلاقه و ملكاته النفسانية لما تتركه الخصال الحسنة أو السيئة من أثر في البنية الروحية والمكانة المعنوية للإنسان، وبامكانها أن تكون إما غذاءً مقوياً أومسموماً في بدن الإنسان وبنائه الجسماني[٢٥]. و هنا يتضح الارتباط المستقيم لسعاده الإنسان و شقائه بالأخلاق التي يقدم عليها الإنسان في حياته، فالأخلاق شأن من شؤون النفس الإنسانية، يكون المحمود منها أو المذموم عادةً تابعاً لموافقته أو عدم موافقته لكمال النفس.

ذكرت أن قانون الإرادات مرتبط دينيًا بفعل الإنسان كذلك هو دستور الأخلاق . بحسب رأي مالبرانش . ، فتتجه المحبة إلى الله أولاً وفوق كل شيء لأنه الكمال المطلق، ثم إلى المخلوقات، كل بحسب نسبته لله أي: درجته من الكمال. فالفضيلة الوحيدة محبة النظام محبة متصلة، وكل ما نصنعه لغاية أخرى فليس فضيلة ولو كان مطابقاً للنظام، مثل الإحسان الصادر عن طلب المجد الدنيوي أو عن مجرد الشفقة، فالعقل صوت الله فينا، من لا يصغي إليه يقع في الخطأ والخطيئة، ويحكم على الأشياء بعقله الخاص لا بالعقل الكلي الموجود فينا كجزء لاشخصي إلهي يستطيع استكشاف النظام بالرغم من اختلاف تكوين العقول بالتربية والعادة وظروف المكان والزمان. هذا الاختلاف هو السبب في اختلاف الاخلاق؛ أما إذا عاد الناس إلى العقل الخالص، فإنهم يهتدون إلى نفس القواعد الأخلاقية[٢٦].

اختلفت المناهج الأخلاقية بحسب تفسير الفلاسفة والباحثين في هذا الجال، فالأخلاق في مدرسة الموحّدين تذهب إلى أن الهدف من خلق الإنسان، هوالتّكامل في الجوانب المعنويّة والروحيّة، والتّقييم الأخلاقي في هذا المذهب، يدور حول القِيَم والمثل والكَمالات الرّوحية والمعنويّة والقُرب من الله تعالى، والأخلاق في المذاهب المادية التي قامت على أساس الثورات ترى أن المعيار الأخلاقي للكَذب والصّدق، يقاس بمدى تأثير ذلك السّلوك الأخلاقي على الثّورة، فإذا أدّى الكذب إلى التسّريع بالثورة

[٢٥] .سعيد حوى: الأخلاق، مكتبة وهبة ١٩٧٧م،ج٢/٧٣.

[٢٦] . يوسف بطرس: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص١٠٤، ونقولا مالبرانش قسيس من جمعية الأوراتوار عاش بين العامين: ١٦٣٨ – ١٧١٥،فلسفته كلها تتلخص في هذه القضية: ما من شيء إذا تأملناه كما ينبغي إلا ردّنا إلى الله، ينظر المصدر نفسه تاريخ الفلسفة ص٩٨.

فهو أمر أخلاقي، وإذا أضرّ الصّدق بالثّورة، فهو أمر غير أخلاقي، كذلك الأخلاق من وجهة نظر الفلاسفة العقليّين تُفسر بالصّفات والأعمال التي تساعد الإنسان على تحكيم العقل، وسيطرته على القوى والنّوازع البدنية، بعيداً عن الخضوع للشّهوات والطّبائع الحيوانيّة، والأهواء النّفسية في حركة الحياة، وذهب فلاسفة آخرين إلى أنّ الأصالة للجماعة لا للفرد، فكلّ فعل يعود بالنّفع للإنسان نفسه، فهو فعل غير أخلاقي، والأفعال التي يكون محورها نفع الغير تكون أخلاقيّة، أما في المذهب الوجداني فالأخلاق عندهم عبارةٌ عن سلسلة من الأُمور الوجدانيّة غير البرهانيّة، أي أنّها تُدرك بدون حاجة إلى منطق واستدلال، فمثلاً الإنسان يدرك أنّ العدل حسنٌ، والظّلم قبيحٌ، ويُشخّص أنّ الإيثار والشّجاعة أمران جيّدان، الأنانيّة والظّلم والبخل أُمورٌ قبيحةٌ، ولا يحتاج في إدراك هذا المعنى، إلى إستدلال عقلي من خلال دراسة تأثير هذه الأفعال والسّلوكيات في واقع الفرد والمجتمع، لكن الكثير منهم لا ينكرون سكوت الوجدان عن بعض الأُمور، وعدم إدراكه لها، وهنا يجب الإستعانة بالشّريعة والوحي لفصل الأُمور الأخلاقية عن غيرها، وبالإضافة إلى ذلك، إذا ورد تأييد من الشّرع لما حكم به العقل، فإنّ ذلك سيكون عاملاً مهماً في ترسيخ هذه المفاهيم في عالم الوجدان، وترجمتها على مستوى الممارسة والعمل.

وفي قراءة للرؤية الفلسفية الدينية للأخلاق نفهم أن الناس يلجأون، ليس إلى ما يحبونه أو يكرهونه، ولكن للمعايير التي يتوقعون أن يدركها الآخرون، عادة ما يقبل الآخرون هذه المعايير لكنهم يدعون أن أفعالهم لا تنتهك ذلك أو أن لديهم عذرًا جيدًا لانتهاكه، لذلك يدرك كلا الطرفين القانون أوحكم المعاملة النظيفة أو السلوك اللائق، فنفترض أن كل شخص يعرف المعايير (ربما باستثناء فرد معيوب غير عادي).

لكن أليس الثقافات المختلفة لا تتفق وبشكل عميق حول الأخلاق؟ نعم، هناك اختلافات أخلاقية ولكن ليس عدم أتفاق كلي، الأخلاق هي في الغالب هي نفسها ولكن ما يختلف الناس حوله متى يجب أن يكون الفرد غير أناني أزاء عائلته فقط أم أبناء بلده أو لكل فرد آخر. لكنهم يتفقون على أنه يجب أن لاتضع نفسك أولاً أي لاتفضلها على الآخرين.. تلخص القاعدة الذهبية "افعل كما ترغب لكن من خلال مايعرفه أو يعتبره الجميع عادة أنه الصواب[٢٧].

بينما كان التوجيه الأخلاقي في القرآن الكريم شاملاً مصلحة الفرد والمجموع وفق مايتوافق ورؤية العقل واطمئنان النفس الإنسانية: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا

[٢٧] . علي رسول الربيعي: الدين والأخلاق: نظرية الأمر الإلهي، مقال منشور في صحيفة المثقف، العدد: ٤٣٤١، شهر٢٠١٨/٧م.

تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (سورة الأنعام/١٥١)

تقول الفلسفات أو التيارات المادّية: إنَّ الأخلاق ليست ذاتية، لأنها مجرد شعور يتسرب إلى الإنسان من التربية والمحيط دون أن يعتمد على شيء من الواقع، ومن هنا تنوعت القيم الأخلاقية تبعاً لاختلاف الأمم والشعوب والأزمنة والأمكنة، فما تراه أمة خيراً تراه ثانية شراً، وما يُعد في هذا الزمان مباحاً كان بالأمس محظوراً، وجاء في الموسوعة الفلسفية: أن الفيلسوف الهولندي جروتيوس قال ما معناه: إنَّ المبادئ الأخلاقية طبيعية وحتمية بذاتها، والله سبحانه يأمر بها لأنها كذلك، ولا يمكن أن يجعل الله ما هو شر بذاته ليس شراً تماماً كما لا يمكن أن يجعل ضعف الاثنين ثلاثاً أو خمساً[٢٨].

المبحث الثالث: التوجيهه القرآني وأثره في تقويم الأخلاق في المجتمع المسلم ويقسم على مطلبين

المطلب الأول: الأخلاق في القرآن

إن أي نظام لايستند إلى قانون يلزم الناس بتطبيقه لا يمكن أن يطبق على أرض الواقع، لذا كان القرآن ملزمًا المسلمين بأوامره ونواهييه بما يحقق الانضباط الأخلاقي في المجتمع، وقد وردت الآيات الكريمة متحدثة عن فضائل الأخلاق داعيةً إلى تطبيقها.

الأخلاق الفطرية والمكتسبة في القرآن:

الأوامر الأخلاقية في القرآن الكريم تتحدد في بيان الواجب، فإذا نظرنا إلى النظرية الأخلاقية للقرآن في مجموعها لأمكن وصفها بأنها "تركيب لتراكيب"، فهي لا تلبي فقط كل المطالب الشرعية، والأخلاقية، والاجتماعية، والدينية، ولكن نجدها، في كل خطوة، وقد تغلغل فيها بعمق روح التوفيق بين شتى النزعات، فهي متحررة ونظامية، عقلية وصوفية، لينة وصلبة، واقعية ومثالية، محافظة وتقدمية –كل ذلك في آن[٢٩].

[٢٨] .الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص١٢٦.

[٢٩] .محمد بن عبد الله دراز: دستور الأخلاق في القرآن، مؤسسة الرسالة، ط١٠،١٩٩٨م، ص ٦٨٦.

القرآن من حيث كونه حافظًا لما سبقه، واستمرارًا له قد تميز عنه بذلك الامتداد الرحب الذي ضم فيه جوهر القانون الأخلاقي كله، وهو الذي ظل متفرقًا في تعاليم القديسين والحكماء، من المؤسسين والمصلحين، الذين تباعد بعضهم عن بعض، زمانًا ومكانًا، وربما لم يترك بعضهم أثرًا من بعده يحفظ تعاليمه، ولعل هذا الجانب هو السمة البارزة من سمات القرآن، وإن لم تكن أثمن سماته، ولا أصلها.

تجلت الأوامر الإلهية القرآنية المذكورة في الأخلاق، في كل سورة من سور القرآن فأكد بتعابير مختلفة على تهذيب الأخلاق واكتساب الملكات الفاضلة، ففي سورة واحدة (سورة الشمس) أقسمَ إحدى عشرة مرة بأن الفلاح والسعادة منوطان بتزكية النفس و تهذيب الاخلاق. ولو لم يرد في هذا المجال غير هذه الآيات، لكان ذلك كافياً للبرهنة على اهمية هذا الجانب. ففي القرآن الكريم آيات كثيرة بشأن كل واحد من الأخلاق الفردية و الاجتماعية مدحًا لمكارمها وذمًا لقبيحها.

علاقة الاخلاق بالعقيدة: كون العقيدة كونها أساس انتماء المسلم واعتقاده بالإسلام دينًا، كذلك الأخلاق أساس الحياة، فقد يفقد المرء دينه بفقده لأخلاقه كما ذكر سبب خروج إبليس من الجنة تكبره على أمر الله و الأهم من هذين هي «العقيده» اولاً و من ثم «الأخلاق». و لكننا اذا تمعنا في الامر نلاحظ اننا اذا لم نزكِ اخلاقنا، فقد نفقد عقيدتنا أيضًا.

كما ان القرآن يرى أن سبب كفر إبليس و طرده من رحمة الله هو أخلاقه الذميمة، و ليس لأنه لم يكن يدرك سبب السجود لآدم. ويؤكد القرآن أنَّ منشأ كفر إبليس هو تكبره: (إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) (سوره ص/٧٤)، فالأخلاق الذميمة يمكن أن تحول دون حصول الإيمان: (فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) (سوره التوبه/٧٧).

وقد ذُكرت النفس الإنسانية في باب التوجه النفسي للأخلاق: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) (سورة الشمس) (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ) (سورة يوسف/٥٣)

نجد في كتب الاخلأق كلام عن الصراع بين النفس و العقل، فقد تغلب النفس بشهواتها وقد يدرك العقل توجهها فيهذبها ثم يبين نتيجة الإلتزام الأخلاقي في التفكر بلقاء الله تعالى: (يَا

أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ) (سورة الانشقاق/٦)، فهذه هي غاية التربية الإسلامية للمجتمع، فإن كل عمل مرهون بنهاياته ونتائجه: (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (١٤) بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (١٥)(سورة الانشقاق، هنا يلاقي الأنسان كتاب عمله فقد انقضى العمل، فربط العمل بيوم الميعاد والحساب، فإن عدم قبول المعاد و إنكاره سبب نفسي مع تصديق العقل به، و لكن نفسه تريده متحررًا من الحدود والموانع تحررًا يوصله للفوضى يفعل ما يشاء لايلتزم في حياته حدًا و لايضع قيدًا على سلوكه، ذلك أدعى إلى إنكار الأسس العقائدية والاتزامات الأخلاقية فمن يؤمن بيوم القيامة و الحساب لايمكن أن يتحلل من الحدود و القيود لإيمانه بوجود الثواب والعقاب.

كذلك ورد التوجيه القرآني الأخلاقي في قوله تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (سورة البقرة/٢٥٦)، هنا بيَّن أن مصادر الإلزام الأخلاقي هي الوحي والعقل والضمير، وكل هذه المصادر والبصائر تقرر حرية الإنسان وتؤكدها، لأن أفعاله لن تكون أخلاقية إلا إذا انبثقت من أعماقه، وكانت ثمرة يانعة لنيته وإرادته بلا تكلف والتواء وتصنع ورياء، ولولا الحرية لم يكن للإنسانية عين ولا أثر[٣٠]، وإن أعم ما منحه الله للإنسان عقلاً أعطاه حرية اختيار الدين والمعتقد كي يلزمه الحجة.

في التوجيه القرآني التآلف الأخلاقي بين أبناء المجتمع: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠)(سورة الإنسان)، إلزاما آخر يجعله يحسن للآخرين رغبةً في الثواب وإيمانًا بيوم الحساب.

ثم تأتي مسألة السعادة،فان من الطبيعي و الفطري في الإنسان أن يطلب الفلاح و السعادة، فالخطاب (أيها الإنسان) أعلم أن طريق السعادة هو طريق تزكية الأخلاق و تزكية النفس: قد أفلح من زكاها. اذن فإنَّ تعبير قد أفلح: عامل يحمل الإنسان على أن يعنى بتزكية الأخلاق.

[٣٠] فلسفة الأخلاق في الإسلام،الشيخ محمد جواد مغنية،دار التيار الجديد،بيروت لبنان،ط٥.١٤١٢هـ.١٩٩٢م،ص٧٥-٧٨،

وقد راعى الإسلام أهمية الأخلاق في التعامل الدولي ضمن مفاهيم العدالة مع غير المسلمين الغير محاربين والإحسان وجعل من حق المجتمع الإسلامي، بل من واجبه أن يسعى لتقريب الناس جميعاً من هدف خلقهم . أي العبودية لله تعالى .

في الوقت الذي أباح الاسلام للمسلمين الدفاع عن أنفسهم وضع لهم ضوابط أخلاقية منها:

احترام المقدسات للمسلمين وغيرهم ، واحترام الأشهر الحرم، كذلك يجب احترام الكنائس، وأماكن العبادة التي أقامها المسيحيون أو اليهود لعبادة الله، وليس لأحد أن يتعرض لشيخ أو طفل أو أي شخص محايد لم يشارك في الحرب.

كما أن المناهج الأخلاقية في الإسلام مثلها مِثلُ سائر المناهج الفردية الإجتماعية، فهي تستمد أُصولها من النّظرة الكليّة لمفهوم العالم، فالأخلاق والنظرة الكونية، منسجمان ومرتبطان مع بعضهما بصورة وثيقة جدّاً، عندما يُصدر الإسلام حكماً بحرمة شرب الخمر، نجد في القوانين الدوليّة أحكام حول خطر المخدرات، فهذه أوامر إلهيّة وبشريّة إستمدت أُصولها من سلسلة الكائنات الواقعيّة[٣١]، وعندما نقول أنّ الأحكام الإلهيّة ناشئة من المصالح والمفاسد فإنّنا بالضّبط نستوحي ذلك من خلال القاعدة التي تقول: كلّما حكم به العقل حكم به الشّرع، وهي أيضاً تُقرر وجود علاقة وثيقة بين الواقع والأحكام والأوامر والنّواهي.

في قانون العقوبات ظهرت نتائج سوء الخلق وأثره على المجتمع، ثم بيان نتائج الاستغفار والتأدب مع خالق الكون ومالكه، فمن أخلاقيات الفرد والمجتمع الاستغفار والعودة إلى الله: (وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ) (سورة هود/٣).

المطلب الثاني: الأثر التربوي لآيات القرآن الكريم

لكلّ عمل أخلاقي آثار ومنافع ماديّة في حركة الإنسان والحياة، ولا يمكن تسميّة تلك الآثار بالطّمع،

[٣١] .محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ٢٠٠٤م، ص١٦٤.

وكذلك الحال في الإمتناع، عن بعض السّلوكيات المشينة والأفعال القبيحة، لا يمكن أن يعبّر عنه، بالخوف والجُبن في دائرة الصّفات الأخلاقيّة.

لقد لجأ الكثير من الفلاسفة إلى إثبات صدور الأوامر الأخلاقية من الله، مما يدفعنا إلى الالتزام بأوامره، فناقشوا أعتماد الأخلاق على إرادة الله، إذ تقوم القواعد الأخلاقية في نظرية الأوامر الإلهية على إرادة الله وهناك، على الأقل، أربع طرق تقول أن الله مصدر الأخلاق. قد يجعل الله الأفعال جيدة أو سيئة من خلالها

- إرادته: اللطف خير لأن الله يريد اللطف.
- طبيعته: اللطف خير لأن الله طيب.
- خلقه: اللطف خير لنا لأن الله خلقنا بطبيعة معينة، والعقل العملي يمكن أن يكشف أن ذلك خير للكائنات من هذا النوع أن تكون لطيفة.
- عقله: اللطف خير لأن الله (من خلال البصيرة المباشرة أو العقل العملي) يعرف أن اللطف خير[٣٢].

حين نصف أخلاق القرآن، نقول: إنها حفظت تراث الأسلاف ودعمته، وإنها وفقت بين الآراء المختلفة، بل ينبغي أن نضيف أن الأخلاق القرآنية قد رفعت ذلكم البناء المقدس، وجملته، حين ضمت إليه فصولًا كاملة الجدة، رائعة التقدم، ختمت إلى الأبد العمل الأخلاقي.

اما بالنسبه لتأثير الأخلاق في الحياة الاجتماعية، فإننا إذا ما درسنا صور الفساد والخصومة والنزعات المدمرة الدامية التي تحدث في المجتمعات، علمنا أن سببها الأساس هو الأنانية والتسلط و حب الجاه و غير ذلك من السمات القبيحة التي تمكنت من نفوس قادة الأمم و شخصيات شعوبها، و التي تجلت في صور الاستعمار و النزوع السلطوي الباطل و الدكتاتورية والاستبداد .. و هكذا الإختلافات و النزاعات التي تحدق في المجتمعات الصغيرة كالمجتمعات المحلية والبيئة الأسرية، و هي الأخرى وليدة عدم تهذيب أخلاق أبنائها، لذلك جاء التهذيب القرآني للمجتمع المسلم: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ

[٣٢] .علي رسول الربيعي: الدين والأخلاق: نظرية الأمر الإلهي، مقال منشور في صحيفة المثقف، العدد: ٤٣٤١، شهر٢٠١٨/٧م.

اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (آل عمران/١٠٣)، ثم قوله تعالى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (الأنفال/٤٦).

وكما بدت النتائج إيجابية في تماسك أبناء المجتمع المسلم كذلك كان ذلك الأثر واضحًا في التوجيه القرآني الأخلاقي على صلاح الأفراد: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (سورة النحل/٩٧).

يستند أي مذهب أخلاقي جدير بهذا الاسم –في نهاية الأمر– على فكرة الإلزام l'obligation، فهو القاعدة الأساسية، والمدار، والعنصر النووي الذي يدور حوله كل النظام الأخلاقي، والذي يؤدي فقده إلى سحق جوهر الحكمة العملية ذاته؛ وفناء ماهيتها؛ ذلك أنه إذا لم يعد هناك إلزام فلن تكون هناك مسئولية، وإذا عدمت المسئولية، فلا يمكن أن تعود العدالة؛ وحينئذ تتفشى الفوضى، ويفسد النظام، وتعم الهمجية، لا في مجال الواقع فحسب، بل في مجال القانون أيضًا، وطبقًا لما يسمى بالمبدأ الأخلاقي[٣٣].

إنّ النّاس الذين يعيشون في مجتمع كبير، ويرغبون في حياة سعيدة مقرونة بالسّلم والتعاون المشترك، يجب عليهم على الأقل أن يَصِلوا إلى رُشد أخلاقي، يدركون معه الحقائق المتعلقة بإختلاف أفراد الإنسان فكراً وروحاً وعاطفةً، لأنّ الأفراد يختلفون عن بعضهم البعض، فلا نتوقع أبداً من الآخرين أن يتبعونا في كلّ شيء، والمهم في المسألة هو السّعي في الحفاظ على الأُصول المشتركة بين المجتمع، وإختلاف الأذواق والأفكار يجب التّجاوز عنه، إلى حيث اللّيونة والحلم وسِعة الصّدر والنّظر إلى المستقبل، فلا يمكن لنفرين أن يُجسّدا بينهما تعاوناً حقيقيّاً في حركة الحياة ولمدّة طويلة، إلاّ بعد التحلّي بأحد الأُصول الأخلاقيّة الآنفة الذّكر، والوصول إلى الوحدة والقدرة والعظمة، هو أمر لازم وضروري، وهو أمر لا يتحقق بالكلام فقط، بل يحتاج إلى تهذيب وتعليم وتربية لنفوس الأفراد، كي يصل المجتمع إلى النّمو والتّكامل في المجالات الأخلاقية.

[٣٣] . دستور الأخلاق في القرآن محمد بن عبد الله دراز ص ١٣٦.

العلم والاخلاق

من العوامل في عمليّة تهذيب الأخلاق وترشيدها، هوالصعود بالمستوى العلمي والمعرفي للأفراد، فإنّ التجربة أثبتت أنّ الإنسان، كلّما ارتقي مستواه في دائرة العلوم والمعارف الإلهيّة، أينعت سجاياه الإنسانيّة، وتفتحت فضائله الأخلاقيّة، والعكس صحيح، فإنّ الجهل وفقدان المعارف الإلهيّة، يؤثر تأثيراً شديداً على دعامات وأُسس الفضيلة، ويهبط بالمستوى الأخلاقي للفرد، في خطّ الإنحراف والباطل، حتى ذكر بعض الفلاسفة والعلماء بأنّ "العلم يساوي الأخلاق"، لذلك جاء في التربية الأخلاقية في القرآن الكريم: (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) (العنكبوت/٤٣)

(بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (سورة العنكبوت/٤٩)،

وبعبارة أُخرى: أنّ العلم والحكمة والمعرفة، هي المنبع الرّئيسي للأخلاق، "كما نُقل عن سقراط الحكيم"، وأنّ الرّذائل الأخلاقيّة سببها الجهل.

الخاتمة: النتائج والتوصيات:

في نهاية البحث، وعلى قلة صفحاته، إلا أنَّ مايتركه مفهوم الأخلاق من أثر كبير في المجتمع كان لابد من بيان نتائجه:

١. هدف الاسلام الدستور الإلهي . القرآن . هو إيصال الإنسان كفرد، وكأمة إلى السعادة التامة والحقيقية، وهذه السعادة لا تنتهي بانتهاء حياة الإنسان في هذه الدنيا، وإنما تتجاوزها، لتكون دائمة وخالدة وأبدية، وما الدنيا إلا دار تهيؤ وإعداد لها.
٢. لا أخلاق بلا حرية، ولا شيء فوق الإنسان إلا خالق الإنسان.
٣. الأخلاق قابلة للتغيير وإلا لأصبحت كلّ برامج الأنبياء التربويّة والكتب السماويّة، ووضع القوانين والعقوبات الرّادعة، لا فائدة ولا معنى لها، لذلك قال نبينا الكريم (صلى الله عليه وسلم): «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»[٣٤]

[٣٤] .محمد بن اسماعيل البخاري: الأدب المفرد، دار البشائر الإسلامية . بيروت . ط٣، ١٩٨٩م،رقم الحديث: ٢٧٣، ص١٠٤.

٤. الصراع النفسي عند الإنسان أنتج مشكلة الأخلاق من فهمه لاختيار السلوكيات الصحيحة أو الخاطئة، فترتب على التربية القرآنية معرفة أن طريق الشقاء البعد عن الأخلاقيات الصحيحة، وأنَّ السعادة تزكية النفس وتهذيبها بالخلق القويم: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠) (سورة الشمس).

٥. تبينت خصوصيات المذهب الأخلاقي للإسلام بصورة كاملة، ألا وهو: الإيمان بربوبيّة الله تعالى، الذي هو الكمال المطلق وأوامره ساريةٌ وجاريةٌ على جميع العالم، وكمال الإنسان الأخلاقي يتأتى من القرب من الله تعالى.

٦. لو وضع البشر قوانين الكون الأخلاقية لتباينوا واختلفوا في تسيير هذا الكون ولما بقي فيه أحياء إلى يومنا هذا، فمما جاء في فلسفة سي إس لويس[٣٥]: لدينا، لحسن الحظ، معلومات داخلية كبشر هي أننا خاضعين لقانون أخلاقي لم نخلقه نحن إذا كانت هناك قوة تحكم خارج الكون، فإنها لا يمكن أن تظهر لنا كحقيقة ملحوظة داخل الكون؛ ويمكن أن تظهر نفسها فقط داخل أنفسنا، كنفوذ أو قيادة لنصل إلى أن هناك شيء يوجه الكون الذي يظهر فينا كقانون يحثنا على القيام بالعمل الصحيح ويجعلنا غير مرتاحين عندما نخطئ، لذلك علينا أن نفترض أن هذا الشئ يشبه العقل أكثر من أي شيء آخر، نحن نعلم؛ الشيء الآخر الوحيد الذي نعرفه هو المادة التي لا تستطيع إعطاءنا التعليمات والوصايا. وهكذا، من خلال معرفتنا بالصواب والخطأ، نصل إلى معرفة الله لكن بمعنى غامض للعقل شبيه بالقانون الأخلاقي.

٧. أن القرآن قد عني بالجانب الأخلاقي عناية مميزة ، وله في ذلك منهج أصيل يلمسه من تدبر آيات الأخلاق في القرآن الكريم، فالمنهج الأخلاقي فيه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بجانب العقيدة والعبادة والمعاملات والعلاقات الاجتماعية والدولية وغيرها ، إضافة إلى ارتباطه بمقاصد الشريعة وحفظ الضرورات الخمس ، ذلك أن العنصر الأخلاقي سمة بارزة في كل تلك الجوانب .

٨. للمنهج الأخلاقي في القرآن خصائص تفرد بها ، من حيث الربانية والشمول والوسطية ، والثبات واليسر والواقعية ، وترتب الجزاء الدنيوي والأخروي عليه، وعناية القرآن الكريم بتأصيل قضية حقوق

[٣٥] كليف ستيبلز "جاك" لويس (بالإنكليزية Clive Staples "Jack" Lewis) :كاتب وباحث إيرلندي وُلد في 29 نوفمبر 1898 وتوفي في 22 نوفمبر 1963. تنوعت اهتماماته بين أدب القرون الوسطى وعلم العقائد في المسيحية والنقد الأدبي والبث الإذاعي والعلاقة الافتراضية بين الخير والشر. وقد ذكر آراءه في الأخلاق د.علي الربيعي في مقاله: نرية الأوامر الإلهية.

الإنسان، بدءاً بتكريم الإنسان، الوالدين والجار والأخوة، والأديان الأخرى، ومروراً بفرض تلك الحقوق على سبيل الوجوب والإلزام ، وانتهاء بالضمانات وأوجه الحماية لتلك الحقوق من الاعتداء والانتهاك .

المصادر والمراجع:

١. ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد(ت٤٢١هـ): تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تحقيق: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، ط١.
٢. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر ، بيروت، ط١٤١٤،٣هـ.
٣. أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، دار المعرفة . بيروت.
٤. أبو حسن علي بن محمد الماوردي: تسهيل النظر وتعجيل الظفر، دار النهضة العربية بيروت.
٥. أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، دار الكتب . القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م.
٦. أبو نصر الفارابي: الصحاح تاج اللغة،تحقيق: أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين . بيروت، ط٤، ١٩٨٧م.
٧. أحمد حسن زيات: مجلة الرسالة باب اساليب التفكير .
٨. أشرف محمود أمين: فلسفة الأخلاق والسياسة، مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٦م.
٩. الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة . بيروت، ط٨، ٢٠٠٥م.
١٠. بيكون ف. المؤلفات، المجلد ٢ . موسكو، ١٩٧٨.
١١. جاسم سلطان: أداة فلسفة التاريخ، سلسلة أدوات القادة.
١٢. جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة ،دار الطليعة بيروت ، ط٣ ، ٢٠٠٦م .
١٣. جونثان ري: الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة: فؤاد كامل، المركز القومي للترجمة، ط١،٢٠١٣م.
١٤. سعيد حوى: الأخلاق، مكتبة وهبة ١٩٧٧م.
١٥. عبد الرحمن الميداني، عبدالرحمن حسن حبنكة : الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة، دار النفائس – بيروت، ١٩٨٨م.
١٦. عثمان أمين: ديكارت مبادئ الفلسفة، دار الثقافة للنشر والتوزيع.
١٧. علي بن محمد الجرجاني: التعريفات، دار الكتب العلمية . بيروت، ط١،١٩٨٣م.

١٨. علي رسول الربيعي: الدين والأخلاق: نظرية الأمر الإلهي، مقال منشور في صحيفة المثقف، العدد: ٤٣٤١، شهر٧/٢٠١٨م.

١٩. كانت ع. نقد العقل الخالص: كانت ع. المؤلفات في ستة مجلدات. المجلد الثالث. موسكو، ١٩٦٤م.

٢٠. ماركس ك. وإنجلز ف. المؤلفات. الطبعة الثانية. المجلد ١.

٢١. محمد إبراهيم الفيومي: المدرسة الفلسفية في الإسلام بين المشائية والإشراقيه ضمن أبحاث ندوة نحو فلسفة إسلامية معاصرة .

٢٢. محمد بن اسماعيل البخاري: الأدب المفرد، دار البشائر الإسلامية . بيروت . ط٣، ١٩٨٩م.

٢٣. محمد بن عبد الله دراز: دستور الأخلاق في القرآن، مؤسسة الرسالة، ط١٩٩٨،١٠م.

٢٤. محمد جواد مغنية: فلسفة الأخلاق في الإسلام،دار التيار الجديد،بيروت لبنان،ط٥.١٤١٢هـ.١٩٩٢م.

٢٥. محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ٢٠٠٤م، ص١٦٤.

٢٦. مصطفى صادق الرافعي: وحي القلم، دار الكتب العلمية، ط٢٠٠٠،١م.

٢٧. مكارم الشيرازي: الأخلاق في القرآن،مدرسة الامام علي بن ابي طالب عليه السلام – قم،ط٢.

٢٨. نمير العاني: مفهومي الفيلسوف والفلسفة، مقال منشور في صحيفة المثقف ،ع٤٢٦٧، ٢٠١٨/٥/١٢.

٢٩. هيجل ج.و.ف. فلسفة الحق.

٣٠. وِل ديورَانت = ويليام جيمس ديورَانت: قصة الحضارة،ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين ، دار الجيل، بيروت – لبنان، ١٩٨٨م.

٣١. يوسف بطرس: تاريخ الفلسفة، مكتبة الدراسات الفلسفية، ط٥.